الآثار السودانية
في ظل حرب الخامس عشر من أبريل

د. نهى عبد الحافظ عبد العزيز
قسم الآثار، جامعة الخرطوم

المستخلص

هدفت الدراسة إلى تحليل تأثير حرب 15 أبريل على الباحثين في مجال الآثار وعلى الأنشطة البحثية الآثارية في السودان. لتحقيق هذا الهدف، تم تنظيم الدراسة باستعراض البحث والباحثين الآثارين في ثلاث مراحل قبل حرب 15 ابريل وخلالها وبعدها. شهدت المرحلة السابقة لقيام الحرب والتي هي جزء من تاريخ الحروب والصراعات التي مرت على السودان وألقت بظلالها على مختلف مناحي الحياة الثقافية والعلمية، بما فيها قطاع الآثار. كانت واحدة من مسببات هذه الصراعات الهوية الثقافية. وعلى الرغم أهمية هذا الجانب، لم يشارك على الوجه المطلوب الباحثون الآثاريون بتقديم حلول جذرية لهذه المعضلات، رغم ما يمتلكونه من أدلة مادية محفوظة في السجل الأثري. أظهرت الدراسة أن النزوح الذي تعرض له الباحثون كان له تأثير سلبي كبير على الأنشطة البحثية الآثارية. حيث توقفت العديد من المشاريع البحثية، حتى تلك التي كانت تقع في مناطق لم تصل إليها الحرب. ومع ذلك، حاول الباحثون، بمساعدة شركائهم الدوليين، تنظيم جهودهم لحماية التراث السوداني رغم التحديات الكبيرة التي واجهوها. اعتمدت الدراسة على المنهج الاستنتاجي، واعتمدت في جمع البيانات على استبيان تمت صياغة في قالب (google form) موجه للآثاريين السودانيين، والرجوع إلى عدد من الأدبيات المنشورة خاصة في موضوع الهوية الثقافية. خرجت الدراسة بتوصية رئيسية وهي أن قضية الهوية الثقافية للسودان، كانت إحدى دوافع النزاعات السابقة والحالية، ويجب أن تكون محور اهتمام الباحثين الآثاريين في الفترة التي تعقب انتهاء الحرب. وهذا يتطلب تركيزاً أكبر على دراسة التراث الثقافي وتوثيقه بوصفه جزءاً من الجهود المستمرة لإعادة بناء البلاد.

الكلمات المفتاحية: الآثار السودانية، البحث الأثري، الهوية السودانية، حرب 15 أبريل، نزوح الباحثون

Abstract

The study aimed to analysis the impact of the April 15 war on archaeologists and archaeological research activities in Sudan. To achieve this goal, we organized it through reviewing archaeological research and researchers in three stages: before, during, and after the recent April 15 war. The stage preceding the war, which is part of Sudan's history of wars and conflicts, cast a shadow over various aspects of cultural and scientific life, including the archaeology sector. One of the causes of these conflicts was cultural identity. Despite the importance of this aspect, archaeologists did not adequately participate in addressing these issues, even though they possess material evidence preserved in the archaeological record. The study showed that the displacement experienced by researchers had a significant negative impact on archaeological research activities. Many research projects were halted, even those located in areas not directly affected by the war. However, researchers, with the help of their international partners, tried to organize their efforts to protect Sudanese heritage despite the significant challenges they faced. The study used the deductive method and collected data through a questionnaire formulated in a Google Form, directed at Sudanese archaeologists, and referred to a number of published literatures, especially on the topic of cultural identity. The study concluded with a main recommendation that the issue of Sudan's cultural identity, which has been one of the drivers of past and current conflicts, should be a central focus for archaeologists in the period following the end of the war. This requires greater emphasis on studying and documenting cultural heritage as part of ongoing efforts to rebuild the Sudan and the unity of the Sudanese people.

Keywords: Sudanese Archaeology, archaeological Research, Sudanese Identity, Displaced Researchers

مقدمة:

عانى السودان من تاريخ طويل من الصراعات والحروب، والتي أدت من قبل إلى انفصال جزء عزيز لنا في عام 2011م. وتُعتبر حرب 15 أبريل الأسوأ، حيث أدت إلى تفاقم الانتهاكات وتدهور الوضع الإنساني. ووفقًا لأحدث تقارير المنظمة الدولية للهجرة الصادر في 23 يوليو 2024م (DTM Sudan Mobility update- August2023)، الذي قُدر عدد النازحين داخليًا بحوالي 10,703,327 نازحاً، موزعين على 8,712 موقعًا، في 183 محلية، بجميع ولايات السودان الـ18. ومن بين هذا العدد، نزح حوالي 1.7 مليون إلى دول الجوار. وللأسف، تتسع رقعة الحرب يوميًا، مما يزيد من معاناة الشعب السوداني (ANSA report- 31/1/2024).

أطلقت أول رصاصة في 15 أبريل نتيجة تراكم عدد من القضايا غير المحلولة في الدولة السودانية، والمتمثلة في اضطراب الشؤون السياسية، والنزاعات العرقية، وغياب الرؤية الواضحة لهوية سودانية موحدة تجمع جميع مكوناته الثقافية والأثنية. كان من الواضح لكل عين فاحصة تأثير هذه الحرب على البحث العلمي والباحثين، باعتبارهم أحد القطاعات التي عانت من آثارها ومآسيها، وذلك من أجل إيجاد حلول للتحديات التي يواجهونها، ووضع خطط لمواجهتها، والمساهمة الفاعلة في إعادة إعمار السودان نحو حياة يسودها الحرية والسلام والعدالة.

تناقش الورقة على وجه الخصوص الأثر المتعدد الأبعاد لحرب 15 أبريل على علم الآثار السوداني والبحث الأثري. ومن أجل فهم تأثير أي حدث على وضع ما، من الضروري أولاً فهم حالة ذلك الوضع قبل وقوع الحدث، ولهذا، تم تنظيمها لتدور حول ثلاث نقاط:

1/ علم الآثار السوداني قبل الحرب.
2/ علم الآثار بعد اندلاع الحرب.
3/ ودور علماء الآثار في فترة إعادة الإعمار.

علم الآثاروالآثاريين السودانيون قبل حرب 15 أبريل:

توافق المهتمون بدراسة تاريخ السودان القديم على أن بداية البحث الآثاري ذا الصبغة العلمية في السودان كانت في الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي بزيارة الباحثين (George Waddington and Barnard Hanbury) عام 1820م، وهما أول من وصف وأعد خرائط ومشاهد للمخلفات الأثرية التي زاروها في شمال السودان بخلاف من سبقهم الذين اكتفوا بالوصف مثل بوركهارد. أما مولد أول إدارة للعمل الآثاري

في السودان فقد كانت هي الإدارة التي وضع لبناتها الأولي كروفوت Crowfoot عام 1904م. وتولى حينها منصب محافظ الآثار بالإنابة" (Acting Conservation of Antiquities)، وقد خصصت لها مساحة من مباني إدارة كلية غردون التذكارية. استمر هذا المنصب حتي عين آركل في عام 1938م في منصب مفوض الآثار والأنثروبولوجياCommissioner of Archaeology and Anthropology. أما أول السودانيين المدربين على العمل الآثاري فترجع أولى الإشارات لتعيينهم إلى أواخر خمسينيات القرن الماضي وهم ثابت حسن ثابت ومعه أو تلاه نجم الدين محمد شريف وعبد الرحمن آدم.

كان أول مدير سوداني لمصلحة الآثار هو ثابت حسن في عام 1960م. وفي عام 1964 تم رفع توصية لمجلس كلية الآداب جامعة الخرطوم بقيام برنامج دبلوم عالي في علم المصريات أشرف عليه البروفيسور المصري الجنسية مصطفى أمير (إفادة من عباس سيد أحمد)، تخرج بهذا الدبلوم دفعة واحدة ضمت أربعة طلاب منهم عكاشة محمد علي الذي تدرج في مصلحة الآثار في ذلك الوقت حتى وصل إلى منصب مدير المتحف القومي ونائب مدير عام مصلحة الآثار. توجه بعد ذلك قسم التاريخ لتدريس التاريخ القديم ضمن مقرراته. ووجدت المادة وقعا خاصا لدى طلاب القسم لمجهودات أستاذ التاريخ القديم هيكوك المهتم بدراسة آثار السودان، والذي ترك أثرا بالغا في طلابه، حتى أنه وجه الطالب عباس سيد أحمد لعمل مسح أثاري لمنطقة جزيرة مقرات؛ ليكون بحث تخرجه في السنة الخامسة بقسم التاريخ. كما وجه من بعده الطالبين يوسف مختار وخضر آدم بمسح المنطقة الممتدة من شمال بربر وحتى أبو حمد. وكان ذلك في الاعوام 1969 – 1970م، ليصبح بعدها بحثهم نواة لعدد من البحوث الرصينة لمن تلاهم من الطلاب. تلك البحوث التي كشفت ويتوقع ان تكشف العديد من أسرار الحضارة السودانية. وفي عام 1970م تم تعين كل من الخريجين عباس سيد أحمد وعلي عثمان معيدين في أول قسم متخصص لتدريس الآثار في جامعة الخرطوم (شعبة الآثار) التي تم قبول أول دفعة بها عام 1971م. (عباس سيد أحمد، إفادة شخصية)

وفي عام 1979م، كتب نجم الدين عن مستقبل علم الآثار السوداني قائلاً:

"إن تعزيز الثقافة الوطنية هدف محدد ومعبر عنه بوضوح من قبل حكومة جمهورية السودان الديمقراطية..... ويتجلى تقدير السودانيين الكبير لتراثهم الثقافي الوطني بوضوح في تأسيس قسم للآثار بجامعة الخرطوم، وإنشاء إدارة الثقافة بوزارة الإعلام، وكذلك في الجهود المبذولة لتطوير الهيئة العامة للآثار والمتاحف القومية، الجهاز المسؤول عن الآثار في السودان" (Negm el Din-1979: 23-99).

توالى إنشاء الأقسام المختصة بدراسة الآثار بالجامعات السودانية بعد منتصف تسعينيات القرن الماضي لتصل في عام 2023م إلى ثمانية أقسام بثماني جامعات مختلفة. على الرغم توقعات الراحل نجم

الدين العالية، واجه الجيل الأول من الخريجين، خاصة الذين تلقى منهم تدريبًا متميزًا خلال دراساتهم العليا في جامعات مرموقة حول العالم، بيئة علمية غير مناسبة عند عودتهم إلى السودان. وقد أدت عدة عوامل إلى هذا الوضع، مما دفع العديد منهم إلى مغادرة السودان بحثًا عن فرص عمل في الخارج.

في محاولتنا لتشخيص أسباب فشل توجيه البحث الآثاري لبرامج تهدف لتعزيز الحس القومي والوحدة الوطنية، والسعي بخطوات فعلية في الطريق الذي رسمه الراحل نجم الدين في خمسينيات القرن الماضي، وجدنا الكثير من العقبات التي اعترضت ذلك.

يُسلّط هذا الجزء من الدراسة الضوء على التحديات التاريخية والمستمرة التي عانى منها السودان، مع التركيز بشكل خاص على تاريخه الطويل من الصراعات في جنوب السودان وغربه وشرقه، بالإضافة إلى منطقتي جنوب النيل الأزرق وكردفان حيث تتشابك هذه الصراعات بعمق مع قضايا الهوية الثقافية والقبول الاجتماعي، مما أدى إلى استمرار الحروب، بما في ذلك الحرب الحالية. وقد كان تأثير هذه الصراعات على البحث الأثري عميقًا، وذلك بسبب:

- ضعف التمويل الحكومي.
- غياب الرؤية الحكومية والإدارة غير السليمة للآثار.
- هجرة الكفاءات الناتجة عن بيئة عمل غير مناسبة.
- أثر الحروب الطويلة بالسودان على التوزيع الجغرافي للبحوث الأثرية الميدانية.

ضعف التمويل الحكومي:

لم تقدم الحكومات السابقة أي تمويل خاص، أو دعم مالي لتغطية البحث الأثري في الهيئة العامة للآثار والمتاحف، حيث كان التمويل مقتصرًا على تغطية التكاليف التشغيلية والإدارية فقط. لم يكن بند البحث والعمل الميداني مدرجًا فعليًا في الميزانية، رغم أنه يفترض أن يندرج تحت الباب الثالث للميزانية، إلا أنه غالبًا لا تتم الموافقة عليه أو لم يتم الوفاء به. (إفادة من مدراء سابقين للهيئة)

عانى قطاع الآثار، كغيره من القطاعات الخدمية والتنموية، من تفضيل الإنفاق العسكري والحربي. من خلال مسحنا لميزانيات السودان خلال العشرين عاما الأخيرة وجدنا على سبيل المثال، خبر منشور عن ميزانية عام 2013م تم توزيع النسب كالتالي: (وقدرت الموازنة بمبلغ 25.2 مليار جنيه ورصدت تقديرات لميزانيات قطاعات الدولة كان أعلاها لقطاع الدفاع والأمن والشرطة الذي حقق زيادة عن العام الجاري حيث بلغت التقديرات 8.593,582.414 جنيه بينما بلغت تقديرات قطاع الصحة والتعليم

555.662.251جنيه والقطاع السيادي 1.552.715.416 والزراعي 5.977.060جنيه) (مقال بصحيفة سودان تربيون: 2012/9/6) وهي ما يعني:

- دعم السلع الاستراتيجية: 8.73%
- القطاع السيادي: 4.57%
- الدفاع والأمن والشرطة: 29.84%
- القطاع الصحي: 2.00%
- قطاع التعليم: 1.95%
- القطاع الزراعي: 2.47%
- القطاع الصناعي: 0.61%

ومن أهم نتائج دراسة حول تحليل العلاقة بين الإنفاق العسكري والنمو الاقتصادي في السودان دراسة قياسية للفترة (2000- 2022 م) أن قيمة متباطئة معامل معدل الإنفاق العسكري في الأجل القصير لفترتين كانت سالبة، وهي تعني وجود علاقة عكسية بين الإنفاق العسكري والنمو الاقتصادي، مما يعنى أن زيادة معدل الإنفاق العسكري بوحدة واحدة يؤدي إلى انخفاض النمو الاقتصادي، وقيمة معامل معدل الإنفاق أيضا سالبة وهذا يعنى إن انخفاض معدل الإنفاق العسكري بوحدة واحدة يؤدى إلى زيادة النمو الاقتصادي (معتز، 2023م، 1-18).

كما أظهرت دراسة حول تكلفة حرب دارفور في عام 2011م أن الحكومة أنفقت خلال عقدين حوالي 1.3% على القطاع الصحي، و1.2% على قطاع التعليم، بينما خصصت 23% للقطاع العسكري.(تقرير بقناة الجزيرة- 2011/8/9م). وفي إحصائية منشورة من قبل " (Global firepower- 2022) نجد أنه بلغ صرف الدولة على قطاع الجيش والأمن في السودان 3.5 مليار دولار من ميزانية الدولة و 6.0% من الناتج المحلي في عام 2022م.

ضمن هذا التوزيع غير المنطقي للإنفاق الحكومي، حصل قطاع الآثار على ميزانية محدودة لتغطية (أو لم يمنح) تكاليف المشاريع البحثية. وكانت معظم أعمال المسوحات والتنقيبات الواسعة تجرى ضمن أنشطة إنقاذية بتمويل دولي، مثل مشروعات سد مروي وكجبار وشريك ودال التي مولتها وحدة تنفيذ السدود. كما أن أغلب البعثات الأثرية العاملة في السودان كانت بتمويل من مؤسسات أجنبية.

منذ عام 2015م، فتحت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي مسابقات بين أعضاء هيئة التدريس

والباحثين للحصول على منح لمشاريعهم البحثية ضمن شروط معينة. وقد أتاح هذا فرصة جديدة لأقسام علم الآثار للاستفادة من هذه المنح، وتمكن الأكاديميون أخيرًا من إطلاق مشاريع بحثية بالتعاون مع الهيئة العامة للآثار والمتاحف.(NCAM)

غياب الرؤية الواضحة حول دور الهيئة القومية للآثار والمتاحف وموقعها (NCAM):

كما سبق لنا القول، بدأت الإدارة الرسمية للآثار في السودان عام 1904م (بمنصب القائم بأعمال حفظ الآثار)، وسن أول قانون للآثار عام 1905م. وفي عام 1939م، تغير المنصب ليصبح مفوض الآثار والأنثروبولوجيا. ثم صدر قانون ثانٍ عام 1952م تم فيه تسمية الإدارة بـ(إدارة الآثار والمتاحف). وفي عام 1999م، تم تحديث التشريعات ومنح الإدارة اسم (الهيئة القومية للآثار والمتاحف).(NCAM)

فعلى عكس ما توقع نجم الدين فالدولة لم تول الاهتمام للتراث والآثار بل عانت خلال السلطات السياسية المختلفة من تغلب سياسات الدولة تجاهها وتجاه إدارتها، فهي تارة مصلحة الآثار، وتارة مصلحة الآثار والمتاحف القومية، أو وكالة الآثار، أو الهيئة العامة للآثار والمتاحف، أو الهيئة القومية للآثار والمتاحف. وفي كل مرة يحدث بها تغيير في الهيكل التنظيمي والإداري بما يتماشى مع سياسات الدولة، مع غياب تام لخطة استراتيجية لإدارة الآثار، والموارد الثقافية على وجه العموم.

هجرة الكفاءات الناتجة عن بيئة عمل غير مناسبة:

شهدت ثمانينيات القرن الماضي موجة هجرة كبيرة للكوادر المؤهلة في قطاعات السودان المختلفة، حيث فقد قطاع الآثار من ضمنها عددًا مقدرًا من الباحثين الذين انضموا إلى العمل في الدول العربية والأوروبية، وخاصة في السعودية.

عاد أغلب الخريجين الأوائل لقسم (شعبة) الآثار بعد نيلهم درجة الدكتوراه في الآثار بجامعة كامبردج وكالقري والسيربون وغيرها في ثمانينات القرن الماضي. لكنهم لم يلبسوا أن شدوا الرحال مرة أخرى للعمل خارج السودان، سواء في المحيط الأوربي أو العربي. فالطريق لم يكن ممهدا أمام خريجي قسم الآثار الأوائل الذين التحقوا بالحقل الأكاديمي والإداري فقد عانت الآثار عقودا من الإهمال والتجاهل مثلها مثل الكثير من جوانب الحياة الثقافية والتعليمية والحقل الصحي مقابل الصرف العالي والاهتمام الموجه تجاه الأمن والجيش والدافع الأول في هذا هو تثبيت أركان السلطات العسكرية والصرف على الحروب الأهلية التي أزهقت أرواح الملايين وعمقت الإحساس بعدم العدالة والانتماء. والمتأمل لهذه الحقبة يجد أن ظاهرة هجرة العقول في فترة ثمانينيات القرن الماضي، يبدو أنها كانت ظاهرة لم يعان منها فقط حقل الآثاريين السودانيين

بل مجالات مختلفة من العلوم بالسودان.

تركت الهجرة والفصل السياسي في السنوات التي تلت انقلاب الإنقاذ عام 1989م، وسياسة تمكين نظام الإنقاذ، أثرها في تراجع إنتاج العمل الآثاري السوداني خلال فترة تسيعينيات القرن الماضي في كل من الوسط الأكاديمي والإداري. اذكر هنا أول يوم لي بقسم الآثار جامعة الخرطوم في العام الدراسي 96 - 1997م وأنا أحمل طلبي للالتحاق بالقسم، وجدت مكاتب القسم خالية إلا من أستاذ واحد يحمل درجة الدكتوراه فيصل الشيخ بابكر، والذي لم نحظ إلا بمحاضرة واحدة منه بسبب وفاته في العام نفسه يرحمه الله، وأستاذة واحدة تحمل درجة الماجستير ومساعدي تدريس. في الوقت نفسه كان أكثر من عشرة أساتذة من حملة الدكتوراه يعملون بالجامعات السعودية وغيرها من الجامعات العربية والأوربية (الخبير 2014م). خلال هذه الفترة تم فصل وتشريد اثنين من حملة الدكتوراه من قسم الآثار وإحالة السيد مدير عام هيئة الآثار والمتاحف أسامة عبد الرحمن واثنين من زملائه للصالح العام.

وصف كل من آدم وطه التأثيرات السيئة لعهد الإنقاذ والعقوبات والمقاطعة التي فرضت على السودان في فترة التسعينيات واستمرت لفترة طويلة خلال حكم الإنقاذ على البحث والباحثين الآثاريين. فقد عمل الباحثون في ظل ظروف صعبة. كان من الصعب عليهم الحصول على الكتب والمواد الإلكترونية، والحصول على تأشيرات للمشاركة في المؤتمرات في الخارج، بالإضافة إلى ندرة التمويل المخصص للأبحاث. وقد لعبت الاضطرابات السياسية في السودان، إلى جانب ركود الاقتصاد العالمي، دورًا رئيسيًا في تراجع النشاط الآثاري. وكان لها تأثير كبير على الجامعات والهيئة القومية للآثار والمتاحف. فبسبب هجرة الكفاءات إلى دول الخليج، تعاني الجامعات من فقدان الكوادر ذات الخبرة، ونقص في المحاضرين والكتب المرجعية الحديثة. كما عانت المتاحف من نقص حاد في أنظمة الأمن، ونقص في مرافق الحفظ والتخزين المناسبة، وقلة نشر نتائج الأبحاث، لا سيما منذ توقف مجلة كوش عن الصدور (Adam & Taha- 2022: 14).

أثر الحروب الطويلة بالسودان على التوزيع الجغرافي للبحوث الآثارية الميدانية:

إن من أطول الحروب التي دارت في إفريقيا هي الحرب ما بين شمال السودان وجنوبه، والتي دارت أولاً في الفترة ما بين 1955-م1972، وانتهت باتفاقية أديس أبابا في مارس 1972م. ثم حرب الجنوب الثانية والتي بدأت في عام 1983 واستمرت حتى يناير 2005 م بتوقيع اتفاقية نيفاشا للسلام، التي كانت من أهم بنودها إعطاء حق تقرير المصير وقيام استفتاء لمواطني الجنوب الذين اختاروا الانفصال في 9 يوليو 2011م. إذا حاولنا الرجوع إلى أسباب هذه الحرب الطويلة ونهايتها بانفصال جزء عزيز من بلادنا نجدها تتعدد من أسباب سياسية واقتصادية وعرقية، ولعب في تسعينيات القرن الماضي الدين دورا خطيرا فيها. أما العامل

الذي يعد عاملاً مؤثرا في وجهة نظري هو الإحساس بعدم الانتماء أو وجود تاريخ مشترك يجمع ما بين شعبي شمال السودان وجنوبه.

قد تختلف الظروف الموضوعية لقيام الحرب في دارفور عن نظيرتها في جنوب السودان. حيث اتجهت الدراسات التي أقيمت للبحث عن أسباب قيامها واستمرارها لهذه الفترة الطويلة إلى أن الموارد الطبيعية والتغيرات المناخية قد كان لها اليد العليا في نشوء هذه الحرب، إلا إن الصراعات السياسية والإدارة غير الرشيدة لها كان لها الدور البارز في استمرارها لهذه الفترة التي تتجاوز العشرين عاما.

هل من الممكن ان تؤدي هذه الحرب الطويلة والصراع الذي اتخذ الآن صبغة عنصرية وجهوية إلى بروز الدعاوي الانفصالية مرة أخرى؟ نعم وللأسف الشديد بدأت مجموعات من غرب السودان، وبعض المنتمين إلى شمال السودان ووسط بتبني مثل هذه الدعاوي، ولابد لنا من الانتباه لمخاطر هذه الدعاوي الانفصالية والتصدي لها (خريطة 1).

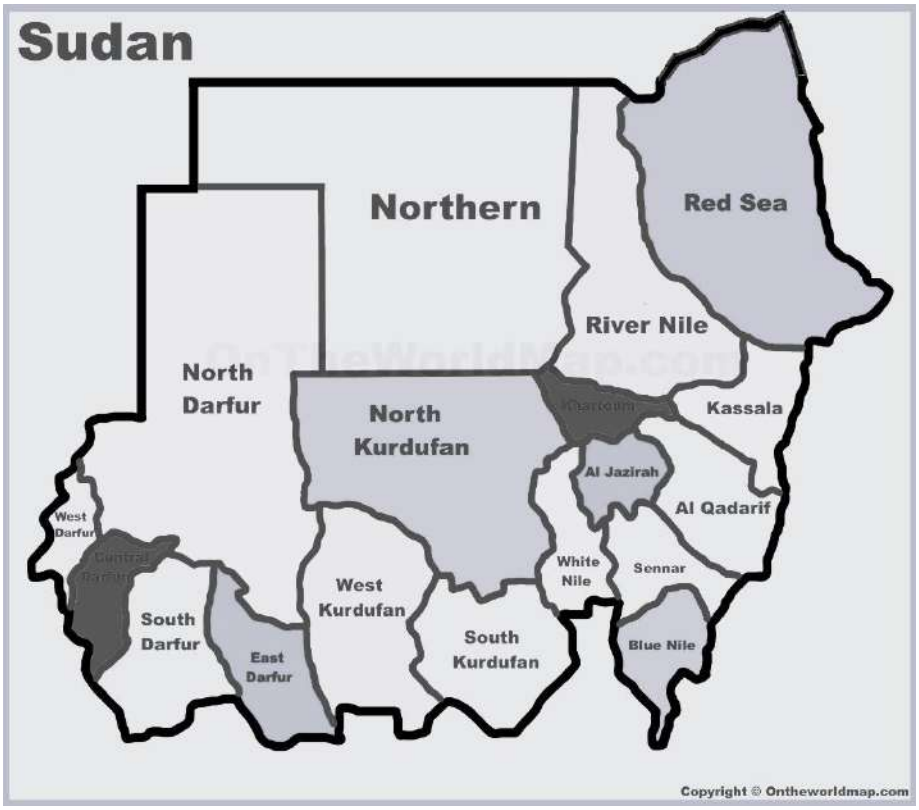

(خريطة-1). خريطة السودان توضح الولايات المختلقة

أظهرت دراسة تحليلية قمت بها لبحوث الدراسات العليا بقسم الآثار بجامعة الخرطوم للفترة ما بين 1971 - م2017، أن معظم الأنشطة الميدانية الأثرية تركزت في ولايتي نهر النيل والشمالية، كما يتضح في الجدول التالي(جدول 1) (عبد العزيز،2025، 51-58).

وفي إحصائية لتوزيع البعثات الآثارية على امتداد السودان قبل اندلاع حرب 15 أبريل أتي تفصيلها في موضع آخر من هذه الدراسة، نجدها كانت على النحو الموضح في الجدول 2).

جدول رقم (1). البعثات العاملة قبل 15 ابريل (إعداد نهى عبد الحافظ)

نوع البعثة	العدد
بعثات سودانية بالكامل	26بعثة
بعثات مشتركة (سودانية + أجنبية)	9بعثات
بعثات غير سودانية (أجنبية بالكامل)	34بعثة
المجموع الكلي	**69بعثة**

جدول رقم (2). توزيع البعثات الآثارية على امتداد السودان قبل اندلاع حرب 15 أبريل (إعداد نهى عبد الحافظ)

الولاية	عدد البعثات
الولاية الشمالية	40بعثة
ولاية نهر النيل	17بعثة
ولاية الخرطوم	6بعثات
ولاية الجزيرة	2بعثات
ولاية البحر الأحمر	4بعثات
ولاية كسلا	1بعثة
ولاية القضارف	1بعثة

من خلال هذه الإحصاءات نلاحظ أن التركيز على مناطق محددة من قبل البعثات والبحوث الآثارية أدى إلى إهمال مناطق أخرى بسبب الصراعات أو غيرها من الأسباب، مما أثر سلباً على إبرازها في الخريطة الأثرية للسودان، وتقليل حضورها في السرد التاريخي للبلاد.

بالنظر في تاريخ الحروب الطويلة في السودان نجدها نشأت لعدة أسباب أحدها الخلاف حول هوية

السودان الثقافية. فعلى امتداد تاريخ الدولة السودانية منذ استقلالها كانت هناك محاولات متكررة لفرض هويات ثقافية معينة على حساب الأخرى. هذه الصراعات أدت إلى غياب عمل آثاري جاد يعزز الفهم المشترك لهوية وطنية جامعة، وكان من الممكن أن يسهم هذا العمل في توحيد المكونات المختلفة للشعب السوداني. وبالتالي، فإن غياب العمل الآثاري وغياب الاهتمام بالتراث المشترك ساهم في استمرار النزاعات والصراعات بدلاً حلها، وبناء هوية سودانية جامعة تساهم في معالجة أحد أسباب اندلاع الحروب واستمرارها. وفي ختام هذه الجزئية لا يسعني غير القول أن الهوة بين الجهود الآثارية والنزاعات العرقية والجهوية قد زادت من حدة الصراعات التي ترتبط بشكل عميق بقضايا الهوية الثقافية وقبول الآخر. ونحن هنا أمام حلقة مفرغة من الأسباب والمسببات حيث يغذي كل منها الآخر.

علم الآثاروالباحثون السودانيون بعد 15 أبريل م2023:

لقياس تأثر الحرب على البحث والباحثين الآثاريين قمنا بعمل استبانة استهدفنا بها الآثاريين العاملين في الهيئة القومية للآثار والمتاحف والجامعات السودانية. فكان التأثيرات في النقاط التالية:

- توقف البحث العلمي والعمل الميداني
- نزوح الباحثين
- تغير الاتجاهات البحثية
- نهب المتاحف والمواقع الأثرية ودمارها

1/ **توقف البحث العلمي والعمل الميداني:** أدى اندلاع الحرب الحالية إلى تعطيل واسع النطاق للأعمال الميدانية والبحثية الآثارية في السودان، حيث تضررت 69 بعثة أثرية كانت تقود بحوثًا أثرية في مختلف أنحاء السودان، موضحة في هذا الجدول التالي (جدول-3) قبل اندلاع النزاع المسلح في 15 أبريل 2023م. شملت هذه البعثات فرقًا سودانية وأخرى دولية. وتعود أسباب هذا التعطيل إلى عدة عوامل رئيسية، من أبرزها:

2/ **توقف التمويل أو تقليصه:** توقف أو خُفِّضت الميزانيات المخصصة لبعض الأعمال البحثية الميدانية، نتيجة لعدم القدرة على الوصول إلى المواقع الأثرية المحددة. يتوقع ذلك أيضا في إمكانية تمويل بحوث جديد في السودان ما دامت الحرب قائمة.

3/ **انعدام الأمن والسلامة:** حال تدهور الأوضاع الأمنية دون تمكن الباحثين الأجانب، وعدد من زملائهم السودانيين، من الوصول إلى مواقع التنقيب والعمل الأثري التابع لهذه البعثات.

4/ **سرقة المعدات:** تعرضت الأدوات والمعدات ومواد العمل الميداني، المخزنة في مبنى الهيئة، أو في معسكرات البعثات بالمواقع الأثرية، للسرقة والتلف.

5/ **فقدان اللقى الاثرية**: فُقدت نتائج الأعمال الميدانية، بما في ذلك القطع الأثرية والأدلة التي تشكل جزءًا أساسيًا من البحث.

كل هذه التحديات وغيرها أدت إلى توقف العمل الميداني والنشاط الآثاري في السودان، ومن المرجح أن تستمر في ذلك، وقادت في بعض الأحيان إلى نقل الأنشطة البحثية إلى خارج السودان.

جدول رقم (3). يوضح تضرر 69 بعثة أثرية كانت تقود بحوثًا أثرية في مختلف أنحاء السودان (إعداد نهى عبد الحافظ والحسن أحمد)

The name of the mission	Archaeological area	State	Type of mission
NCAM and UCL	Mugrat Island	The River Nile State	Sudanese mission
NCAM	Al daba Marwe area	The Northern State	Sudanese mission
NCAM and Michigan University	Jabel Barkal	The Northern State	Joint mission
NCAM and ISCR, Italy	Mut Temple	The Northern State	Joint mission
NCAM	Dangeil site	The River Nile State	Sudanese mission
QSAP and Sudanese Pyramids Restoration Mission (NCAM - German Archaeological Institute)	Kushite pyramids (Begraweia-Barkal)	The River Nile State	Joint mission
NCAM/ La Sapienza University / University of Rome	Al Debeeba Al Saqai	The Northern State	Joint mission
NCAM/ La Sapienza University / University of Rome	Al Hejear Temple	The Northern State	Mix mission
Dep. Of Archaeology U of K	Meroitic Royal city - Amon Temple	The River Nile State	Sudanese mission
Dep. Of Archaeology U of K	Akhandaq area	The Northern State	Sudanese mission
Dep. Of Archaeology U of K	Kedurma area	The Northern State	Sudanese mission
Dep. Of Archaeology U of K	Wadi El Qaab	The Northern State	Sudanese mission
Dep. Of Archaeology U of K	Red Sea area	The Red Sea State	Sudanese mission
Dep. Of Archaeology U of K	Abu Deleiq area	Khartoum State	Sudanese mission
Dep. Of Archaeology U of K	El Jazeera area	El Gazira State	Sudanese mission

Dep. Of Archaeology / Shendi University	Archaeological survey Al Mattama area	The River Nile State	Sudanese mission
Dep. Of Archaeology / University of Dongola	Al Kurru Cemetery	The Northern State	Sudanese mission
Dep. Of Archaeology / University of Dongola	Jebal Barkal	The Northern State	Sudanese mission
Dep. Of Archaeology / University of Dongola	Amara East	The Northern State	Sudanese mission
Dep. Of Archaeology / University of Dongola	El Jazeera	El Gazira State	Sudanese mission
Dep. Of Archaeology / Al-Neelain University	Eastern Atbraa River	The River Nile State	Sudanese mission
Dep. Of Archaeology / Al-Neelain University	North Al Sabaloqa to Hahar Al Asal	The River Nile State	Sudanese mission
Dep. Of Archaeology / University of Bahri	Al Basabeer to Hajar Al Asal	The River Nile State	Sudanese mission
Nile Valley University	Southern Al Damar	The River Nile State	Sudanese mission
Joint Mission Brown University / Vienna University	Uronarti	The Northern State	Non-Sudanese mission
University of Munich, Germany	Attab – Farka	The Northern State	Non-Sudanese mission
SFDAS Khartoum	Sai Island	The Northern State	Sudanese mission
SFDAS Khartoum	Sedeinga	The Northern State	Sudanese mission
University of Cambridge UK	Sesbi area	The Northern State	Non-Sudanese mission
University of California/ Santa Barbara	Tombos	The Northern State	Non-Sudanese mission
University of Neuchatel	Kerma eastern cemetery	The Northern State	Non-Sudanese mission
Joint Swiss-French Mission	Ancient Kerma town and Dokki Gel	The Northern State	Joint mission
Egypt Exploration Society	Habarab area	The Northern State	Non-Sudanese mission
Institute of Archaeology /	Messaida Church	The Northern	Non-

University of Warsaw		State	Sudanese mission
SFDAS Khartoum	Kadrukka	The Northern State	Sudanese mission
Sudanese Archaeological Society	Kawa area	The Northern State	Sudanese mission
Wellesley College	Kom R4 Wadi Al Khowi	The Northern State	Non-Sudanese mission
University of Warsaw	Old Dongola	The Northern State	Non-Sudanese mission
Polish Academy of Sciences	Bangnarti and Slib	The Northern State	Non-Sudanese mission
Polish Centre of Archaeology / University of Warsaw	Al Affad	The Northern State	Non-Sudanese mission
Polish Centre of Archaeology / University of Warsaw	Al Zuma	The Northern State	Non-Sudanese mission
Joint Mission of the Universities of Michigan, Copenhagen and Dongola	AL Kurru	The Northern State	Joint mission
University of Venice	Jebel Barkal, Natakamani Palace	The Northern State	Non-Sudanese mission
University of Cassino	Sanam Abu Dom	The Northern State	Non-Sudanese mission
University of Arizona	Nuri	The Northern State	Non-Sudanese mission
Polish Centre of Mediterranean Archaeology, University of Warsaw	Al Gazali	The Northern State	Non-Sudanese mission
University of Münster	Wadi Abu Dom	The Northern State – The Nile State	Non-Sudanese mission
University of Arizona	Al Gnefab	The River Nile State	Non-Sudanese mission
Sudan Archaeology Research Society (SARS)	Rock inscriptions Kurgus to Abu Hamad	The Northern State – The Nile State	Sudanese mission

The German Archaeological Institute	Meroitic Royal Bath	The River Nile State	Non-Sudanese mission
The German Archaeological Institute	Hamadab	The River Nile State	Non-Sudanese mission
University College London UCL Mission	The Royal City	The River Nile State	Joint mission
Louvre Museum	Al Hassa and al damboia	The River Nile State	Non-Sudanese mission
Humboldt University	Musawwarat es Safra site	The River Nile State	Non-Sudanese mission
Munich Museum	Naqaa site	The River Nile State	Non-Sudanese mission
Italian-Russian Joint Mission	Abu retila – Isis temple – Al Awalib	The River Nile State	Joint mission
Gdansk Museum Poland	Bayouda area	The Northern State – The Nile State	Non-Sudanese mission
Czech National Museum	Wad Banaqa	The River Nile State	Non-Sudanese mission
Czech National Museum	Jabel Qaili	Gedaref State	Non-Sudanese mission
Charles University / Czech, Prague	Uslei	The Northern State	Non-Sudanese mission
Charles University / Prague	Sabaloqa area	Khartoum State – The Nile State	Non-Sudanese mission
Charles University / Prague	Shaq Al dod	The Nile State	Non-Sudanese mission
Polish Centre of Archaeology / University of Warsaw	Soba east	Khartoum State	Non-Sudanese mission
The Italian Institute for Africa and the Orient, Italy	Al Salha area	Khartoum State	Non-Sudanese mission
Polish Centre of Archaeology / University of Warsaw	Khour Shambat (salvage	Khartoum State	Non-Sudanese

	excavation)		mission
University of Naples Italy	Kassla	Kassla State	Non-Sudanese mission
University of Louisville USA	Southern Sawakin	Red Sea State	Non-Sudanese mission
Lomonosov University, Russia	Darahib / Red Sea Statee	Red Sea State	Non-Sudanese mission
Yale University	Eastern Desert	Red Sea State	Non-Sudanese mission

على الرغم من تركز أغلب الأعمال الآثارية كما يوضح (جدول-1) في الولاية الشمالية وولاية نهر النيل، وهما حتى الآن خارج نطاق الحرب، إلا أنها تأثرت ووقفت الأنشطة الأثرية فيهما. معظم هذه البعثات كانت غير سودانية أو بعثات مشتركة، مما يعني أن الأعضاء الأجانب سيواجهون تحديات كبيرة في الحضور إلى السودان ومواصلة أنشطتهم. وقد أفادنا الباحثون الآثاريون عبر استبانة لقياس أسباب توقف أبحاثهم بعد الحرب بأن، 40% منهم توقف عملهم الميداني بسبب عدم قدرتهم الوصول إلى المواقع الأثرية. 25% منهم فقدوا اللقى الأثرية التي جمعوها لتكون موضوع دراستهم، بينما أفادنا 15% منهم بأن بحوثهم لها علاقة بمتاحف تعرضت لنهب أو هي في مواقع نزاع مسلح، كما توقف عمل 15% الذين فقدوا مكتبتهم الخاصة أو فقدوا القدرة على الوصول إلى المكتبات الجامعية.

نزوح الباحثين:

أظهرت نتائج المسح الذي أُجريناه وسط الباحثين المنتسبين إلى المؤسسات الواقعة في ولايتي (الخرطوم والجزيرة) المتأثرة بالحرب بما فيها الهيئة القومية للآثار والمتاحف، الجامعات، والمتاحف الإقليمية ما يلي:

استقر أربعة أساتذة جامعيين من حاملي درجة الأستاذية خارج السودان، بينما نزح أستاذ جامعي واحد داخل السودان. وخلال العام الماضي، فقدنا ثلاثة من الزملاء الذين كانوا يحملون درجة الأستاذية، رحمهم الله، كما فقدنا ثلاثة من الزملاء الآخرين، اثنان حاصلان على درجة الدكتوراه والآخر على درجة الماجستير. أما عن عدد الباحثين من حملة الدكتوراه المقيمين خارج السودان وقت كتابة هذه الورقة، فقد بلغ عشرين باحثًا، بالإضافة إلى عشرين باحثًا آخرين من حملة درجة الماجستير. أما داخل السودان، فهناك عشرة باحثين من حملة الدكتوراه، وخمسة وعشرون باحثًا من حملة درجة الماجستير. (يمكن ملاحظة هذه

الإحصائية في الجدول-4).

جدول رقم (4). نتائج المسح وسط الباحثين المنتسبين إلى المؤسسات الواقعة في ولايتي (الخرطوم والجزيرة) المتأثرة بالحرب بما فيها الهيئة القومية للآثار والمتاحف، الجامعات، والمتاحف الإقليمية (إعداد نهى عبد الحافظ)

Category	Inside Sudan	Outside Sudan	Deceased	Total	Inside Sudan (%)	Outside Sudan (%)	Deceased (%)
Professorships	1	4	3	8	12.50 %	50.00 %	37.50%
Master's Degree Holders	2	20	1	46	4.35%	43.48 %	2.17%
PhD Holders	10	20	2	30	33.33 %	66.67 %	3.33%

أظهر المسح أيضا أن 65% من المشاركين في الاستبانة استقر بهم المقام نازحين خارج السودان لأسباب تتعلق بالحرب، بينما 20% منهم استقر بهم المقام خارج السودان لأسباب لا تتعلق بالحرب بينما نزح 15% منهم داخل السودان. وفيما يتعلق بعدد طلاب الدراسات العليا الذين استجابوا للاستبيان، نزح منهم إلى خارج السودان 24 طالبًا، من بينهم 8 طلاب في مرحلة الإعداد لرسائل الماجستير في قسم الآثار بجامعة الخرطوم.

نهب المتاحف والمو اقع الأثرية:

كانت الحرب سببا في دمار عدد من المتاحف والمواقع الأثرية ونهبها إلى جانب تعرض عدد من المباني التاريخية بولايتي الخرطوم والجزيرة إلى أضرار كبيرة، لكن بعد مضي وقت قليل على الصدمة الأولى للحرب نظّم عدد من علماء الآثار السودانيين والمهتمين بقضايا التراث السوداني أنفسهم وبدأوا العمل على لفت الأنظار إلى المخاطر التي يتعرض لها التراث السوداني في ظل هذه الحرب. إلى جانب العمل على توثيق الأضرار التي تعرض لها التراث السوداني بمختلف أشكاله. فانتظموا في عدد من المبادرات منها مبادرة تحت اسم (مبادرة حماية التراث السوداني)، والتي تعمل تحت مظلة جمعية (التراث من أجل السلام Heritage for Peace - وقد أصدرت هذه المبادرة ثلاثة تقارير تناولت الأخطار التي تعرضت لها مواقع التراث السوداني (Hamid and other: June 2023,September2023, August2024).

في مبادرة أخرى قادها عدد من المهتمين تحت اسم (مؤسسة الإغاثة الثقافية – السودان)، تم إصدار تقرير بعنوان: تقرير عن وضع التراث الثقافي في السودان خلال حرب 15 أبريل ضمن مشروع حماية في 9 يوليو 2023م. وفي إطار الجهود المبذولة لمواجهة الأضرار التي لحقت بمجموعات المتاحف والمواقع الأثرية نتيجة الحرب، أطلقت منظمة اليونسكو نداءً في 5 أغسطس 2024م. لوقف الاتجار بالممتلكات الثقافية التي سُرقت، أو تم تصديرها بشكل غير قانوني من السودان خلال النزاع الجاري. وقد دعت اليونسكو، إلى جانب شركائها اليونيدروا UNIDROIT، مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة UNODC، الإنتربولINTERPOL ، منظمة الجمارك العالميةWCO ، والاتحاد الدولي لتجار الأعمال الفنية CINOA، كما دعت الجمهور والمهنيين العاملين في مجال تجارة الممتلكات الثقافية إلى الامتناع عن شراء أو استيراد أو تصدير أو نقل ملكية أي قطع ثقافية يُعتقد بشكل ما أنها قد سُرقت، أو أُزيلت بطريقة غير قانونية، أو تم تنقيبها سراً، أو صُدّرت بشكل غير مشروع من السودان (Call by UNSCO: last update August 2024). وفي إطار التعاون بين الهيئة العامة للآثار والمتاحف السودان(NCAM) ، وفريق مشروع رسم خرائط المواقع والمعالم الأثرية المهددة في أفريقيا(MAEASaM) ، وبالشراكة مع مشروع متاحف الغرب المجتمعية السودان، وعدد من المؤسسات والباحثين، تم إعداد خريطتين توضحان التأثيرات المحتملة للنزاع الجاري على مواقع التراث في جميع أنحاء البلاد. تُظهر الخريطة الأولى (خريطة - 2) المؤسسات الثقافية في مدينة الخرطوم، بينما تعرض الخريطة الثانية (الخريطة - 3) مجموعة متنوعة من المتاحف والمواقع الأثرية المختارة في أنحاء مختلفة من السودان (MAEASaM Project, June 13, 2023).

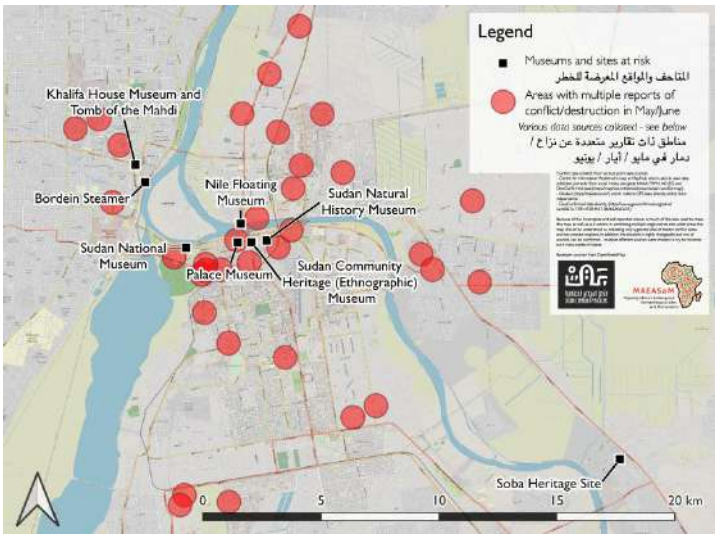

خريطة رقم (2). المؤسسات الثقافية في مدينة الخرطوم. المصدر موقع (MAESAM) على الشبكة العنكبوتية

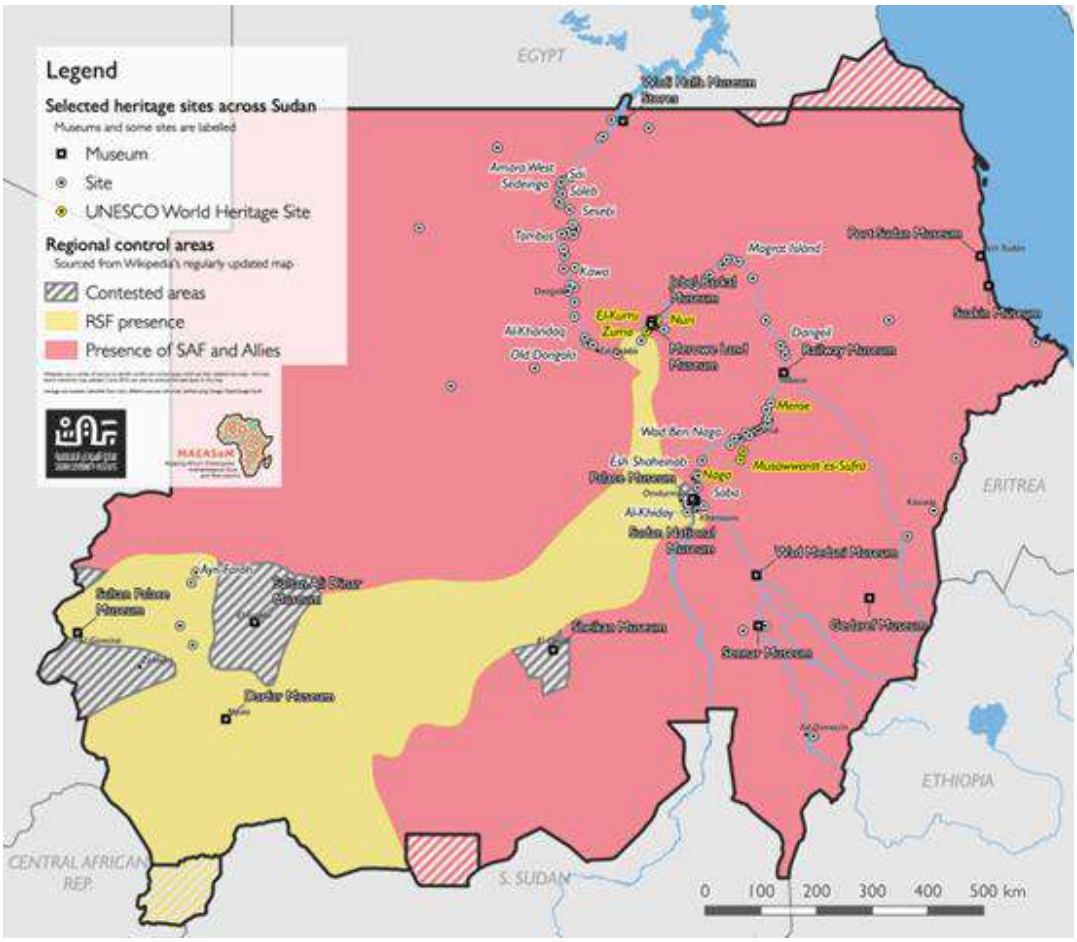

خريطة رقم (3). مجموعة متنوعة من المتاحف والمواقع الأثرية المختارة في أنحاء مختلفة من السودان.
المصدر موقع (MAESAM) على الشبكة العنكبوتية

تغيير أولويات البحث:

بعد حرب 15 أبريل، شارك عدد من علماء الآثار السودانيين العاملين بالهيئة العامة للآثار والمتاحف والأكاديميين في أنشطة تهدف إلى زيادة الوعي وحماية الآثار والمواقع الأثرية. كما أولت العديد من المنظمات الدولية هذا الأمر اهتمامًا كبيرًا. ويمكن تلخيص بعض هذه الأنشطة كما يلي:

إجراء ورش عمل تدريبية شارك فيها عدد من الباحثين المقيمين في القاهرة. تم تنظيم معظم هذه الورش بالتنسيق بين اليونسكو باريس، اليونسكو القاهرة، اليونسكو الخرطوم، المنظمة الدولية لحماية التراث(ICCROM) ، مؤسسة إنقاذ التراث المصري(EHRF) ، الهيئة العامة للآثار والمتاحف السودانية

(NCAM)، منظمة التربية والعلوم والثقافة العربية، والمنظمة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم.

أُقيمت إحدى هذه الورش بين 6-10 يوليو 2023م. في اليوم الأخير من الورشة، تم تنظيم اجتماع لشركاء المنظمة الدولية لحماية التراث(ICCROM) ، تم التأكيد فيه على ضرورة تضامن المجتمع الدولي لدعم التراث السوداني وحمايته، كما ضم الاجتماع عددًا من شركاءICCROM . وكان من بين النتائج المهمة للورشة تشكيل لجنة الاستجابة للأزمات التي تعمل على حماية التراث السوداني تحت إشراف مجلس الاستجابة للأزمات. كما تم إنشاء مكتب تنفيذي مؤقت في القاهرة، والذي يعمل مكتبا لتنسيق مركزي يجمع البيانات من بعثات تقييم الأضرار والمخاطر التي تم توزيعها على شكل خمسة مكاتب ميدانية في أنحاء السودان. (تقرير ايكروم: يوليو 2023) انظر (الشكل-1).

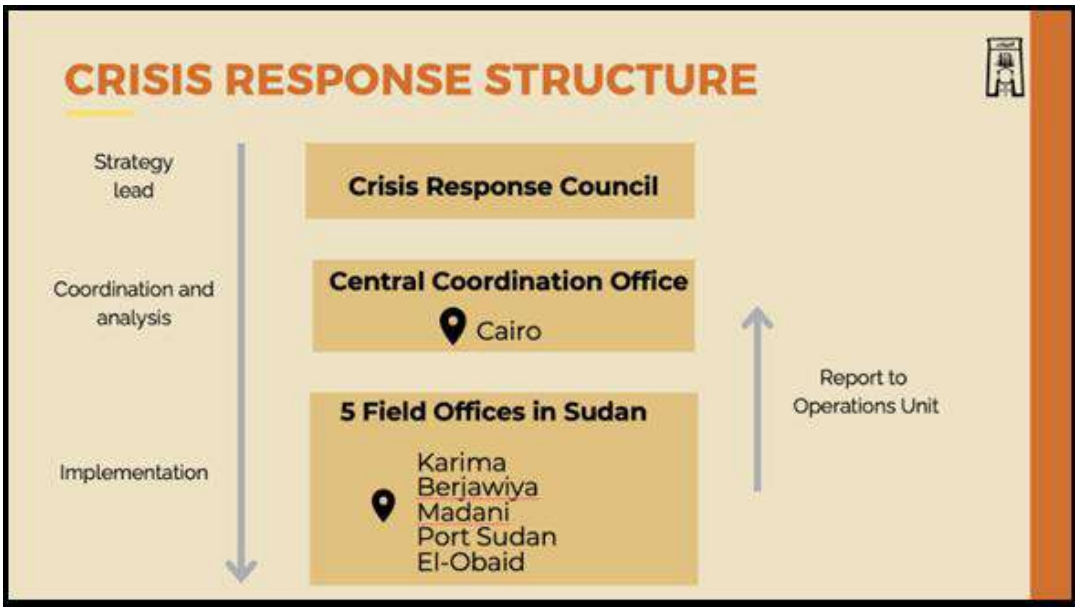

الشكل رقم (1) التغيير في هيكلة الهيئة العامة للآثار والمتاحف

يمثل هذا التغيير في هيكلة الهيئة القومية للآثار والمتاحف تغيرا في مهامها ووظائفها السابقة. فقد كانت الهيئة تتكون من ثلاثة أقسام رئيسية تمثل الوظائف الأساسية التي كان تقوم بها وهي، الكشف الآثاري، المتاحف، والترميم. وبعد قيام الحرب تغيرت أوليات الهيئة لظروف البلاد الحالية ؛ لأهمية مجابهة المخاطر واسترداد الاثار السودانية.

كما لمسنا تغيراً آخر في اهتمامات الباحثين السودانيين الذين حاولوا بعد مضي عام من قيام الحرب

التغلب على المعوقات التي حالت دون مواصلتهم بحوثهم الآثارية. فقد أفادنا 40% من المشاركين معنا في الاستبانة بأنهم قد وجدوا مواقع أخرى جديدة لأبحاثهم، بينما بدأ 15% جمع لقى أثرية أخرى، أما 20% فقد قاموا بإيجاد بديل لمكتباتهم التي فقدوها. أما 25% منهم فقد حاول العثور على متاحف أخرى لمتابعة أبحاثهم.

بالرجوع إلى الجدول رقم 3 نجد أن 28 بعثة آثارية سودانية عاملة في السودان أغلبها تابع لجامعات سودانية وممولة كليا أو جزئيا من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ما عدا بعض المواقع تعمل فيها فقط الهيئة القومية للآثار والمتاحف. ونجد 31 بعثة من خارج السودان. و10 بعثات مشتركة. بالنظر إلى هذه الإحصائيات نستشعر الخطر الذي يمكن أن يهدد استمرار هذه البعثات في العمل الميداني الذي تقوم به. فالجامعات السودانية القائمة بالخرطوم والجزيرة قد تعرضت لدمار كبير، إلى جانب الدمار الذي تعرضت له وزارة التعليم العالي نفسها وهو ما يشكل لنا تنبؤا بوجود إشكالية تعوق تمويل هذه المشاريع في الوقت القريب. أما البعثات الأجنبية فيكون التخوف في تحول يطرأ على اهتماماتها البحثية نتيجة لتعذر الوصل إلى المواقع الأثرية، وفقدان معينات العمل والمكتشفات الأثرية. ويأتي التخوف الأكبر من توقف الجهود التي كانت تجري لتقديم الحضارة السودانية وتاريخها في الأوساط العالمية.

الآثار السودانية في فترة ما بعد الحرب وإعادة البناء:

خلال الاستعراض السابق الذي حاولنا فيه تشخيص الإشكالات التي عاني منها البحث الآثاري السوداني، وإسهامه في قضايا الهوية الثقافية التي كانت إحدى أسباب الحرب في السودان، وهو تشخيص نهدف من خلاله إلى الاستفادة منه في وضع خطة لفترة ما بعد الحرب وإعادة إعمار السودان. من خلال هذا التشخيص خرجنا بخطة تحمل ملامحها أربع نقاط أساسية وهي:

1/ **تطوير استراتيجية وطنية شاملة لإدارة التراث:** وذلك بتوجيه الجهود وتوحيدها في الفترة القادمة تجاه البحث عن الجذور الثقافية الجامعة لمكونات الشعب السوداني.

2/ **تنفيذ برامج توثيق وإعادة بناء علمي ومنهجي للمواقع المتضررة:** بالاستفادة من توجيهات المؤسسات والمنظمات العاملة في هذا المجال مثل ICOMOS and ICCROMوتوصيات وارسو لعام 2018م التي تصب في إعادة إعمار مواقع التراث بعض النزاعات المسلحة. إلى جانب الاستفادة من التجارب الإقليمية والمحلية.

3/ **الاستثمار في تدريب الكوادر المحلية وبناء قدراتها:** تدريب كوادر لتنفيذ أعمال الصيانة وإعادة الإعمار بحيث تشمل كوادر آثارية وهندسية، إلى جانب كوادر من السكان المحليين.

4/ **إشراك المجتمعات المحلية:** ويكون ذلك لضمان استدامة الجهود المبذولة لإعمار التراث ومواقع التراث السوداني وحمايتهما.

المناقشة:

من النتائج التي يمكن الخروج بها من هذه الدراسة أن تأثير الحرب في السودان على قطاع الآثار لم يكن ظرفيًا أو عابرًا، بل جاء امتدادًا لتاريخ طويل من الإهمال المؤسسي والاضطرابات السياسية التي حدت وقلصت من قدرة هذا القطاع على أداء دوره الوطني. وقد كشفت الورقة عن ثلاثة مستويات متداخلة للتأثير:

أولها: تمثل في تاريخ البحث الآثاري في السودان الذي ظل حبيس مناطق محددة وموارد محدودة.

ثانيها: في حجم الدمار والشلل الذي أصاب القطاع إثر اندلاع حرب 15 أبريل.

ثالثها: في الفرص الممكنة لما بعد الحرب إذا ما تم اعتماد رؤية استراتيجية شاملة.

تبرز من خلال البيانات التي جُمعت عبر الاستبيان وورش العمل أن الحرب لم توقف المشاريع البحثية فحسب، بل أعادت تشكيل أولويات الباحثين أنفسهم، سواء عبر النزوح أو إعادة توجيه مجالات اهتمامهم البحثي. هذا التحول يفتح بابًا مهمًا للحديث عن دور الباحث الآثاري السوداني بوصفه فاعلًا في مقاومة التهميش الثقافي وصانعًا للهوية الجامعة، وليس مجرد موثق وباحث عن آثار العهود السابقة.

كما أظهرت الورقة أن قضايا الهوية الثقافية ليست مجرد خلفية نظرية، بل هي من صميم التحديات التي واجهها السودان في ماضيه القريب وحاضره. فضعف الخطاب الآثاري في التصدي لخطاب الانقسام الإثني والسياسي فاقم من التهميش لمناطق أثرية كثيرة، وأدى إلى إضعاف حضور الآثار باعتباره مكوّنا جامعا في السردية الوطنية.

ومن النقاط اللافتة التي طرحتها الدراسة هو الخلل في هيكلة الهيئة القومية للآثار والمتاحف وتذبذب سياساتها، مما جعلها عاجزة عن الاستجابة الفعالة أثناء الأزمات، ومفتقرة إلى الاستقلالية في اتخاذ قرارات استراتيجية متعلقة بحماية التراث، أو الاستفادة منه في بناء السلام.

رغم ذلك، فإن التفاعل الإيجابي من الباحثين النازحين، والمبادرات المحلية والدولية، يشير إلى وجود نواة حية يمكن البناء عليها. فالحرب - رغم قسوتها- أعادت طرح أسئلة الهوية والانتماء والدور المجتمعي للآثاريين، مما يوجب على المؤسسات الأكاديمية أن تعيد النظر في مناهجها ومهامها المستقبلية.

الخلاصة:

تُبرز هذه الدراسة أن الحرب الدائرة في السودان منذ 15 أبريل لم تكن مجرد كارثة إنسانية أو سياسية فحسب، بل شكّلت تحديًا عميقًا لقطاع الآثار والباحثين فيه. فقد أدى النزوح، وتوقف المشاريع، ونهب المتاحف، إلى تراجع غير مسبوق في النشاط الأثري. غير أن هذه الأزمة كشفت كذلك عن إمكانيات جديدة في إعادة النظر في دور الآثار باعتباره مجالا حيويا في تشكيل الهوية الثقافية وتعزيز الوحدة الوطنية.

التوصيات:

1/ حثّ الأطراف المتنازعة على إخلاء المواقع الأثرية والامتناع عن استهدافها.
2/ تجريم الاعتداءات على المواقع والمجموعات الأثرية، وفقًا للقوانين المحلية والدولية، ومقاضاة المسؤولين عنها.
3/ ضمان إدراج حماية التراث في مفاوضات السلام، إذ إنّ فقدان المواقع والمجموعات الأثرية يُعادل فقدان الهوية السودانية.
4/ وضع خطط لترميم التراث وتنفيذها، وتدريب كوادر مؤهلة لمعالجة الأضرار خلال مرحلة إعادة الإعمار بعد الحرب.
5/ تشجيع علماء الآثار السودانيين على الانخراط في حوار وبحث جاد حول دور التراث المادي في تشكيل هوية سودانية موحدة تجمع جميع المجموعات العرقية، وتُحارب الانقسامات الإقليمية والعرقية.
6/ إشراك المجتمعات المحلية في الحفاظ على المواقع الأثرية وحمايتها وإعادة بنائها وتفسيرها، إذ يُشكّل ذلك تحديًا بالغ الأهمية خلال مرحلة إعادة الإعمار.

المراجع والمصادر

التقارير الدولية:

- International Organization for Migration. 2024, July 23. DTM Sudan Mobility Update (04). https://dtm.iom.int/reports/dtm-sudan-mobility-update-04
- Infomigrants. 2024, January 26. IOM: More than 10 million displaced by conflicts in Sudan. https://www.infomigrants.net/en/post/54884/iom-more-than-10-million-displaced-by-conflicts-in-sudan
- UNESCO. 2024, July 31. Call to fight against illicit trafficking of Sudanese cultural property. https://uscbs.org/unesco_sudan_cultural_property/
- MAEASaM Project. 2023, June 13. Mapping heritage at risk during the current conflict in Sudan. https://maeasam.org/mapping_heritage_risk_during_conflict_sudan/
- ICCROM. 2023, July 24. ICCROM-led workshop helps identify 77 risk heritage sites and collections. https://www.iccrom.org/ar/news/iccrom-led-workshop-helps-identify-77-risk-heritage-sites-and-collections-amid-commitment
- Heritage for Peace. 2023, June 27. Cultural heritage situations in Sudan – SHPI report. https://www.heritageforpeace.org/sudan-reports/

المقالات الأكاديمية:

أولاً: العربية:

- معتز آدم عبد الرحيم محمد. تحليل العلاقة بين الإنفاق العسكري والنمو الاقتصادي في السودان: دراسة قياسية للفترة 2000–2022. **مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا**، 19(32)، 1–18. 2023م.
- نهى عبد الحافظ عبد العزيز، **مقترح لتطوير برنامج الدراسات العليا بقسم الآثار**. مجلة كلية الآداب، جامعة الخرطوم، 52 (2).. ص 51-58. 2025م.

ثانياً: الأجنبية

- Negm el Din Mohammed. 1979. The future of Sudanese archaeology. In Africa in Antiquity, *Meroitica* (Vol. 55, pp. 23–99). Berlin.
- Ahmed Hussein & Shadia Taha. 2022. Archaeology in Sudan: A Sudanese perspective. In *Oxford Research Encyclopedia of African History*. https://doi.org/10.1093/acrefore/9780190854584.013.565.

المقالات الصحفية والإعلامية:

- سودان تريبيون ميزانية عام 2013 **تتضمن استمرار التقشف الاقتصادي وتقليص نفقات الدولة**/https://sudantribune.net/article233030 . (2012, December 6). .
- عبد الرحيم محمد خبير. **السودانيون والعمل الآثاري في المملكة العربية السعودية**. موقع الراكوبة الإلكتروني https://www.alrakoba.net/549512 . 2014.
- قناة الجزيرة الإخبارية. **الكلفة الاقتصادية لحرب دارفور**. مركز الجزيرة للدراسات ,2011) August 9).

إفادات شخصية (غير منشورة):

- إفادة شخصية من أ.د. عباس سيد أحمد محمد علي، أستاذ الآثار بجامعة الخرطوم، بتاريخ يونيو 2024م.
- إفادة شخصية من مدريين سابقين للهيئة القومية للآثار والمتاحف، بتاريخ يونيو2024م.